THE INFLUENCE OF QUR'ANIC SCHOOL ON SPREADING ISLAMIC SCIENCES IN BILADI SUDAN (NIGERIA)

تأثير المدارس القرآنية
في نشر علوم الإسلامية في بلاد السودان (النيجيريا)

Kasimu Alhaji Muhammad
Umaru Ali Shinkafi Polytechnic Sokoto
muhammadkasimalhaji@gmail.com

ABSTRACT

This article is about the effect of Qur'anic schools in spreading Islamic sciences. It includes a system between the Qur'anic tablets schools and the design of scriptural schools. Qur'anic schools aim to shed light on the emergence of Islamic schools in the past and present in Sudan and how these schools have spread and are affected by history and situation, and God is reconciled.

الملخص:

أن هذه المقالة تأثير المدارس القرآنية في نشر علوم الإسلامية، تشتمل نظام بين المدارس القرآنية اللوحية الحبرية ونظام المدارس الكتبية، مدارس القرآنية تهدف الى إلقاء ضوء عن نشئة المدارس الإسلامية في الماضي والحاضر في بلاد السودان، وكيف إنتشرت هذه المدارس وتاثرت في التاريخ والحال، وبالله التوفيق.

المقدمة:

الحمد لله الذي {عَلَّمَ الْقُرْآنَ*خَلَقَ الإِنْسَانَ *عَلَّمَهُ الْبَيَانَ*} (سورة الرحمن: 2-4)/

والصلاة والسلام على أسعد الأنبياء محمد بن عبد الله وعلى ءاله وصحبه وأزواجه ومن اتبعهم بإحسان الى يوم الدين.

أما بعد:-

فإن المدارس القرآنية هي المدارس التي يتعلم فيها أبناء المسلمين كبارهم وصغارهم تعليم القرآن الكريم من بداية الى نهاية تعليم القرآن وعلوم الدينية مع تثقف في تعليم لغة العربية.

بلاد السودان:

بلاد السودان هو بلاد اللتكرور، علم على الإقليم الغربي من الجنوب السوداني، وهذا الإسم شائع في الحرمين ومصر والحبشة، ومندرس في محله، حتى لا يعرفه أهل هذه البلاد أصلا، وإنما يتلقفنه من الحجاج الذين سموه بالحرمين ومصر. {الشيخ محمد بللوا إنفاثق الميسور، ص، 27} البلاد السودان او التكرور بلد بالمغروب أنه عبر في كنوا وكشنا وما والاهما ببلاد والتكرور {قاله الشيخ: الفيروز بادي ومحمد بللو ص: 27}.

المدارس القرآنية اللحوية:

المدارس القرآنية هي تلك التي يتعلم فيها الأولاد المسلمين قراءة القرآن الكريم من بداية التهجي على الترتيب الأبجدي بالالواح والحبر، وما الى ذلك وقد يكون محلها المسجد والزاوية او دار المعلم المربي ونحو ذلك، في هذه المدرسة الولد عندما يبلغ من العمر سبع سنوات يأخذ اللوح ويطلق عليها في العرف المحلي مدرسة اللوح للأن الاولاد يتعلمون قراءة القرآن فيها باللوح.

منهج التعليم في مدارس القرآنية:

المنهج المتبع في مدارس القرآنية اللوحية قريب من منهج أهل المغرب العربي الذي ذكره ابن خلدون في المقدمة بقوله: "أما أهل المغرب فمذهبهم الاقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن

فيه، لا يخلطون ذلك بسواه في شئ عن مجالس تعليمهم، لامن حديث وفقه وشعر، ولا من كلام العرب، إلى أن يجاوزا البلوغ الى الشيبة، وهي طريقة قريبة إلى طريقة غرب أفريقا بتعير يسير" (آدم الألور، الاسلام في نيجيريا ص، 52).
وذلك أنهم لا يخلطون القرآن بشئ من العلوم بل يقدمون على استظهاره حفظ، او استطراده سردا والإكتفاء بحفظ بعض السوّر القصار لتأدية الصلاة المفروضة، أوربما يوجد في القليل هي يضيف الى القرآن دروسا في التوحيد والصلاة خصوصا لبيوت العلماء المشهورين.

تأثير المدراسات القرآن لأبناء المسلمين وكبارهم

1. بلوغ الكمال الإنساني:
   تأثير القرآن الكريم هي أهداف التربية في الإسلام.
   الإنسان قادر على بلوغ الكمال من جميع النواحي إذا ما وجد الرعاية والعناية والتربية، مما يساعد على ذلك أن الإنسان قابلية الكمال والوظيفة الرئيسية للتربية هي الإنتقال بـهذا الكمال الموجود قابيلته عند الإنسان الى كمال موجود بالفعل يكشفه الإنسان من خلال النشئة والتربية التي يتعرض لها في مراحل حياته المختلفة، من بداية قراءة القرآن الى حفظه وتفسيره مع التدبر مافيه من معانيها المختلفة (أصول التربية وتاريخها، عبد الرحمن الناجي محمد ص، 51).
2. تحقيق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، التربية القرآن لا تقتصر على جانب دون جانب بل هو الإنسان روحا وجسدا.
3. تنشئة الإنسان الذي يعبد الله ويخشاه.
   الإنسان متدين بفطرته والدّين ضرورة إجتماعية لأن الدّين ينظم حياة الناس والعلاقة بينهم، ويساعد الإنسان على التغلب على المشاكل الاجتماعية والنفسية والاقتصادية على التي تواجهه، ويسعى الإسلام الى خلق الإنسان الذي يعمر الأرض ويتفيد بما في الأرض من ثروات (عبد الرحمن الناجي، ص: 51).
4. تقوية الروابط بين المسلمين.
   يوجد الإسلام الأفكار والاتجاهات والقيم والمشارب فالمسلمون جميعهم على قلب رجل واحد.
5. بلوغ كمال النفس (الناجي نفس المراجع)
   يسعى الإسلام الى أن يبلغ الشخص.
   بنفسه الكمال عن طريق العلم وتنمية العقل وكسب الرزق لينتفع بذلك في دنياه وآخرته.
6. التربية على العقيدة الصحيحة
   يربي الشحص على خشية الله والإقتداء بالرسول والسلف الصالح قال تعالى: "لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله" (الممتحنة: 6).
7. إخراج الفرد الصالح في المجتمع الذي يسعى لي الخير وتعمير الأرض بما ينفع الناس.
   كل ما ذكرت هو ضمن من تأثير تربية القرآن لكونها تربية الإسلامية.

أسس التربية القرآنية:

المدرسة القرآنية مدرسة تكاملية شاملة تهتم بالروح والجسد، فطهارة الجسم شرط العبادة، وفي قوله عليه الصلاة "إن لبدنك عليك حقا" (رواه المسلم).
و"إن في الجسم مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب" (رواه المسلم وغيره "إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا" (سورة الاسراء، 36).
تعليم القرآن تربية تتحه للجسم، تتجه للعقل والتفكير فريضة إسلامية والنظر والعقل أساس في الإسلام لذلك يدعي رب العزة في كثير من الآيات القرآنية مثل "يأولى العقل" أو الألباب، أولى النهي، لقوم يعقلون، لقوم يسمعون ولقوم يذّكرون.

التربية في القرآن تربية متوازنة:

تربيية في القرآن تطلب الإنسان على تحقيق التوازن بين الحياة الدنيا والآخرة، لقوله تعالى: "واتبغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا" (سورة القصص: 77).

والإنسان مطالب بتعمير الأرض، قال الله تعالى: "هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه ان ربي قريب مجيب" (سورة هود: 61).

والقرآن يقرر لنا أن الله عز وجل أحل الطيبات لبعاده، لقوله: "قل من حرم زينة الله إلي أخرجت لعباده والطيبات من الرزق. قال: "هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة" (سورة الأعراف: 32).

أيضا قال تعالى: "ولقد مكنكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ماتشكرون" (سورة الأعراف: 10).

قال الأستاذ: "عبد الرحمن الناجي محمد السوداني" وبعض العلماء ان ذكر الدنيا والآخرة ذكر في القرآن متساوي (115) مرة، مائة وخمس عشرة مرة، لكل مما يؤكد التوازن بين الدنيا والآخرة. وأخير قال تعالى: "ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار" (سورة البقرة: 201)

التربية القرآنية تربية سلوكية عملية:

التربية لاتكفى بالقول والنصوص وانما لابد من أن يتبع القول العمل، أركان الإسلام تتطلب سلوكيا عمليا ولا يكفي إستظهارها، ينبع من كل المسلم مطابقة أقواله الأفعاله. لقوله تعالى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ" (سورة صف:2). أيضا وقال تعالى:" أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ" (سورة البقرة:44) أيضا " وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ" (سورة الهود:88).

الـتربية القرآنية تربية فردية واجتماعية

الإسلام يرى الشخص تربية ذاتية يتحمل مسؤولية اعماله وتصرفاته، قال تعالى: "كل امرئ بما كسب رهين" (سورة الطور: 21).

والشحص يتجه الى ربه دون واسطة، وهي تربية اجتماعية فالمسلم أخو المسلم والمسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا، وهي تربية تدعوا الى الاثرة وحب الآخرين، لقوله عليه الصلاة والسلام: "لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخه مايحب لنفسه" ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم" (الحديث: البخاري، مسلم والترمذي).

وامتم الإسلام بتربية القرآنية تربية الفرد، وتـهذيبه ليكون مصدر خير للجماعة، وجعل العدل قيمة في ذاته فالمسلم أخو المسلم لا يظلمه بل لا يظلم الكافر لقوله تعالى في القرآن العظيم: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ " (سورة المائدة: 8)

الضمير الحي والذي يعصم الانسان من الذالك ويحفزه على، المسلم يعرف ان هناك رب يراقبه حيث كان وهو كذلك يتربين على مراقبة المولي سبحانه وتعالى حتى لا يجده حيث نهاه ولا يفقده حيث أمره. وتربية الضمير تربية الإرادة الإنسان لتحكم في تصرفاته ويوقف تزواته وشهواته. فإن فعل وجد جزاء ذلك خيرا وحسنة (تاريخ التربية، عبد الرحمن الناجي، ص، 54).

المدرسة القرآنية تربية لفطرة الإنسان وتوجيه لغرائزه

أمر الله في القرآن بالابتعاد عن الإسراف والغو. قال الله عز وجل " يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ" (سورة الأعراف: 31). وقال أيضا: " وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا " (سورة الإسراء:29). وفي آية الأخرى: " وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ" (سورة النساء: 129)

فالقرآن يلزم إن تنشئ الفرد على التحكم في رغباته وعدم الإنساق وراء شهواته وغرائزه.

التربية القراءة القرآن تربية متدرجة

فالتربية القراءة القرآن تربية الخليقة متدرجة وليصل الإنسان الى الإكتساب الأخلاق للعليا يحتاج الى وقت. وقد أهتم الإسلام في قراءة بتشئة الأبناء المسلمين بذا أمر عباده ان يختارا ذات الدين لأنها ستخرج جيلا صالحا وكذلك لابد من التوخي في إختيار المرضع ثم بعد ذلك كل بالتنشئة الصالحة والتأديب والبيئة لأبناء والتدرج سمة أساسية في الإسلامية

فالخمر حرمت بالتدرج على مراحل والواجبات الأخرى من صلاة وصيام وزكاة وتحريم للربا تفرض كلها او تحرم دفعة واحدة.

نظام التعليم القرآن في شمال سودان:

فنظام التعليم القرآني المتبع في شمال نيجيريا متأثر جدا بنظام sالتعليم القرآني في البلاد المغربية الصحراوية، بحيث يكون شاكني في بيت المربين ويخدمون في بعض الأحايين.

وفي مورتانيا عند الشناقطة على سبيل المتال يكون الطلاب في مقر الشيخ ويستقرون في محضرته ويرتحلون اليه من أماكي بعيدة، ولم يكن يرتحل إليهم مهما كان مستوى أسرتهم المادي او المعنوي وقد توجد بعض الاستتناءات في القليل النادر. (الشنقيطي إبراهيم، ص: 10 و 80).

وفي مدارستنا القرآنية في نيجيريا، حيث كان الآباء الأولاد يرون أن إدخال الولد في مدرسة قرآنية ليكون العلم العلوم الدينية الإسلامية والعربية واجب. واذا تباعد الأستاذ المربي عن الآباء فإنه يحاول أن يجد أرضا يزرعها وقد يستعين بهؤلاء الأولاد في زراعتها.

قال صاحب الثقافة العربية: "وقد أساء بعض هؤلاء المعلمين استعمال هذه المدارس خصوصا في القرى حيث أخذوا يسخرون هؤلاء الأولاد في فلاحة أراضيهم الزراعية، واتخذ بعضهم عادة التنقل من القرى الى المدد مع هؤلاء الأولاد حيث يصبح الأولد مستولين، (على أبوبكر، المرجع السابق ص، 186).

منهج التعليم في مدارس القرآن:

المنهج المتبع في مدارس القرآن قريب من منهج أهل المعرب فمذهبهم الإقتصار على تعليم القرآن فقط وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواء في شئ من مجالس تعليمهم، لا من حديث وفقه وشعر، ولا من كلام العرب، الى ان وجاوزوا البلوغ الى الشيبة، وهي طريقة قريبة غرب أفريقيا بتغير يسير. (آدم الألوري، الإسلام في نيجيريا ص: 53).

قبل إختمام ختم القرآن للطالب، وهناك سور معينة وأحزاب يطالب المعلم أبا الطالب بالتصدق له بطعام أو خروف اذا وصل إليها وهذه الصدقة تهذهب الى المعلم نفسه، أما اذا ختم الولد القراءة القرآن فلا بد أن يقيم والده إحتفالا رائعا يحضره الأقارب والأصدقاء ليباركوا في الولد او البنت وليملؤ وجيب المعلم بالمال، (الدكتور علي أبوبكر، مرجع السابق).

وهذه العادة قد دخلت في نيجيريا من شمال إفرقيا وأكبر دليل على ذلك هو الفتوى الذي استفتاها شمس الدين محمد بن محمد المتوني جلال الدين عبد الرحمن السيوطي حيث سأله قائلا:

منهم من يقرئ الصبيان فإذا ختم او بلغ النصف أو الثلث حملوه على درقة أي جلد من فوق رؤوسهم أو على فرس أو جمل ويجتمع عليه القراء ويطوفون به البلد كله يقرؤون عليه آيات الرجاء ومدائح رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيعطيهم الناس طعاما وشرابا وثيابا فيتركونه للفقية (علي أبوبكر، المرجع السابق، ص: 186-187).

مؤسسات التعليم قراءت القرآن

المؤسسات التعليم قراءت القرآن كلا من الكتاتيب والمساجد والرابطات والمكتبات العمومية والخاصة وقصور الأمراء ودور العلماء وحتى الدكاكي.

ويرى بعض العلماء ان كتاتيب تحفيظ او القراءة القرآن الكريم لم تظهر في العهد المبكر للإسلام فالأطفال يندسون بين الكبار ويحضرون حلقات التعليم أو أنهم تعلموا على آبائهم. وقد كثرت الكتاتيب في العهود المتأخرة واختلف حجمها من منطقة الى منطقة ويذكر ياقوت في (معجم الأدباء) أن كتّاب أبي القاسم البلخي يسع (3000) الثلاثة الألق تلميذ. لذا إحتاج البلخي إلى حمار لكي يشرف على هذا العدد الهائل. (عبد الرحمن الناجي محمد، مرجع السابق آنفاص:58).

حين ازداد عدد الكتاتيب في القرن الثاني للهجرة حتى أصبح في كل قرية كتاب والقصور تعليم. الخلفاء والأمراء والأغنياء بتخذون معلمين خاصِينَ لأولادهم في القصور، واطلق إسم المؤدب على هؤلاء المعلمين.

صفات المعلم المربي او المؤديبي

المعلم المؤدبي الذي بتولي تدريس الأولاد ان تتوفر فيه بعض الشروط اللازمة منها:

حصوله على سند بقراءة القرآن الكريم من شيخ موثوق به، ثانيا معرفته بطرق تدريس القرآن الكريم، ثالثا غزارة المادة العلمية، رابعا، حسن الأخلاق، خامسا، الرأفة بالتلاميذ وآخر عزة النفس.

ولكن هذه الصفات ليست من الشروط الازمة في تعليم القرآن في نيجيريا لأن طريقة لتعليم في هذه المدارس لاتزال بدائية لأن مؤملات المعلم هي أن يستطيع ان يقرأ القرآن قراءة صحيحة ويحفظ على الأقل حزبا واحدا من سورة الأعلى الى سورة الناس، فمتى ماتحصل على هذين الشرطين فقد أصبح كفؤا للتدريس في هذه المدرسة في بيئة (علي أبوبكر المرجع السابق، ص: 185).

الخاتمة:

المسلمين في بلاد السودان، حاصة في النيجيري كما قال الشيخ غلادنثي كغيرهم بهذه المدارس ويرسل الأطفال بنين وبنات إليها، فيتعلمون شيئا من القرآن كما يتعلمون بعض المبادئ الإسلامية. ولم تكن تلك المدارس تخضع لأي نظام موضوع، فليس للحكومة عليها يد. وباستطاع أي إنسان أن يفتحها ويدرس فيها إذا حفظ بعض السور القرآنية وتعلم الكتابة والقراءة وليس بشرط أن يحفظ القرآن كله كما كان الأمر في مصر. (غلادنثي حركة اللغة العربية، ص: 49-50) لم تكن هذه المدارس تابعة لاي نظام رسمي موضوع ولا الأي مؤسسة معروفة، كان المربي أب وقائل لهذه المدارس القرآنية، وعمله غالبا يرى أنه يؤدي تعليم الطلاب في سبيل الله.

التوصيات:

لكون الطلاب بأتون من أمامكن المختلفة مع مدرسيهم ومربهم، ورغم آبائهم وعلماءهم على تعليم الأمة بدون أي مقابل لم تتوقف بل ازداد عددها وكثر أصحابها، أرى أنه يجدر إعادة النظر في النظام تعليم القرآن لأطفال المسلمين، كما رأيت في مدينة خرطوم، جمهورية الإسلامية بسودان. لأن التلاميذ وغيرهم. لهم قيدُ عند المدرسة لا يتجاولون طلب المعيسة، ولهم نظام نموذجي وفصول بقدر طاقة الطالب بعد تحفيظ القرآن أن الحكومة تخاتار إمام لكل مسجد منهم، ولهم جاه عند الأمة والكرامة وفضولة.

ونسأل الله ان يجاز أئمتنا السلف الصالح خير جزائهم بالجنة آمين.

وبالله التوفيق.

المراجع:

1. أبي داود سليمان بن الأشعث الجستاني (202-275هـ) **سنن أبي داود** شركة القدس، للنشر والتوزيع، القاهرة.
2. أبي الحسين مسلم، بن الحاج ابن مسلم القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، بلا تاريخ بيروت لبنان.
3. أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، (8194-256) بلا تاريخ
4. آدم عبد الله (الالوري) (1971) الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني، الطبعة الثانية، نيجيريا.
5. أستاذ عبد الرحمن الناجي محمد 1423/2001 أصول التربية وتاريخيها معهد الشيخ إبراهيم الطيب لتدريب معلمي اللغة العربية، ينتسب هذا المعهد الى معهد الحرطوم الدولي للغة العربية التابع للمنظمة العربية والثقافة والعلوم، الطبعة الأولى، الخرطوم-سودان.
6. الشنقطي، إبراهيم بن أب الحسين طريقة حفظ القرآن عند الشناقطة، بدون تاريخ.
7. علي أبوبكر (الدكتور) الثقافة العربية في نيجريا (1960م) نشر دار الوكالة للمطبوعات، نيجيريا.
8. غلادنثي، شيخ أحمد سعيد، (1993م) حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا من سنة 1804مـ -1960م.
9. محمد بللو (سلطان)، إنفاق الميسور (1822هـ) إنفاق الميسور، نشر محمد طن إغي، صكتو نيجيريا.
10. قرآن الكريم (nd) مطبعة فهد جد، المملكة العربية السعودية، مكة.

11.https/www/brinica.contopiclc,Qur'anic School: History Of education as at 15/12/209.